م - ١٤ من صفر ١٤٤٣هـ - ١١ توت ١٧٣٨ق | السنة: ٣٥ | ثلاثة جنيهات | ٨ صفحات | تصدر عن

الحق فوق القوة
والأمة فوق الحكومة
«سعد زغلول»

الوفد

alwafd

١٩٨٤ برئاسة تحرير مصطفى شردى

٢٠٠٩/٦/٣٠

نحو الحرية

توفيق الحكيم.. وصلاح الدين.. وبشري

بقلم:
د. وحيد عبدالمجيد

ما أجمل المسرح الجاد حين يحضر وسط فيض من الإسفاف وتدني الذائقة الفنية في مجتمع يقل إبداعه في مختلف المجالات، ويندر في بعضها، وما أروع هذا المسرح عندما يلامس قضية من القضايا العامة ويقترب من دائرة القيم والسلوكيات السياسية دون أن يوغل في ذلك. وما أرقي هذا العمل إذا كان عرضا غنائيا كوميديا لا يقدم عليه إلا خاصة المبدعين لصعوبته الشديدة، وخصوصا حين يستلهم مسرح الرائد العظيم توفيق الحكيم.

وما أفضل المعالجة الغنائية التي قام بها المخرج نادر صلاح الدين لمسرحية براكسا التي تعد أحد أكثر أعمال توفيق الحكيم عمقًا، فهي تتميز بعمق فلسفي بالغ من ناحية، ورمزية شديدة الدلالة من ناحية أخري. وحين يجتمع التفلسف والترميز في عمل إبداعي باللغة العربية الفصحي تصبح معالجته غنائية في حوار باللغة العامية من أشق الأمور.

ولكن نادر صلاح الدين نجح في ذلك، مثلما أبدع في إخراج العرض. وكان محظوظًا لأن التأليف الموسيقي الذي قام به هشام جبر ساعده في إنجاز مهمته، وكذلك الاستعراضات التي صممها تامر فتحي.

أما الفنانة الجميلة الرائعة بشري بطلة العرض، التي جسدت شخصية براكسا المرأة الاثينية التي استولت علي السلطة وجعلتها نسائية في مجتمع ذكوري بامتياز قبل أن ينقلب عليها قائد الجيش، فهي أحد أهم عوامل نجاح هذا العرض علي المسرح الكبير في دار الأوبرا، فقد شعر المشاهد وكأنه أمام «براكسا» شخصيًا وليست الفنانة التي تجسدها، ولو أن الحكيم بعث حيًا، وقدر له أن يتوجه إلي دار الأوبرا لمشاهدة هذا العرض، لأعتقد أن براكسا التي تخليها في اليونان القديمة ظهرت في القاهرة الجديدة.

ولكن بشري، التي يبدو أن ثمة تقاربا شديدا بينها وبين براكسا من حيث ملامح شخصيتهما، ليست وحدها التي تربط بين أثينا في لحظة تدهورها، والقاهرة في مرحلة تراجعها، تجمعهما أيضا سطوة القوة حين تسود علي حساب العقل والفكر الفلسفي فتهبط بقيمة الحرية والجمال إلي مرتبة أدني، وعندئذ قد يصبح العقل - الفلسفة والحرية في داخل سجن صغير في أثينا أو محبس عام كبير في القاهرة وإذا حدث ذلك، لأبد أن يكبل الجمال بالأغلال وينطلق القبح فينتشر في كل مكان، لقد منحت «براكسا» الشعب الحرية التي تتطلع إليها البشرية علي مر العصور، ومازال قسم كبير من بني الإنسان محروما منها كليا أو جزئيا، ولكن قائد الجيش، الذي حاولت أن تقريد إليها، عزلها وألقي مستشارها الفيلسوف أبقراط - الذي جسد شخصيته باتقان رشدي الشامي - في السجن، وقبل أن يعصف بهما القائد هيرومينوس - الذي أبدع في تجسيد شخصيته إلهامي أمين - بلغه نبأ هزيمة الجيش الذي تركه في الميدان، فصاروا ثلاثتهم في مأزق تاريخي في مواجهة الشعب الذي انكشفت أمامه أخطاء القوة المتسلطة والحكومة التي منحته الحرية والعقل الذي تعتمد عليه، ومع ذلك ظل خداع هذا الشعب سهلاً.

وليست هذه قصة أثينا القديمة فقط، وإنما هي رواية طويلة ممتدة ربما بطول التاريخ وصولاً إلي عصرنا الراهن، فما زالت الحرية والعقل والجمال في صراع صعب ضد القوة المتسلطة والطغيان والخداع والقبح، ولكن القوة لم تعد للسيف فقط ولا حتي في المقام الأول، ففي القاهرة الراهنة أصبحت قوة المال الغاشم الذي يكثر الحرام فيه هي المصدر الأول للطغيان والخداع والقبح.

وهكذا يثير العمل الرائع الذي عرض في دار الأوبرا لعشرة أيام فقط شجونا كثيرة بشأن القاهرة الحالية، وليس أثينا التي كانت في التاريخ الأقدم، فتحية لكل من أسهم في هذا العرض إلي جانب من سبق ذكرهم، وخصوصا الفنانة نهي لطفي والفنانين أحمد ثابت وخالد إبراهيم، وتحية خاصة جدا لفرقة باليه أوبرا القاهرة الرائعة، براقصيها وراقصاتها وموسيقييها ولمهندسي الديكور والتخت ورسامي المناظر ومصممي الملابس.